## عراب العقارات في مصر يواجه كورونا على طريقته

حسین صبور:

## موت البعض بالفايروس أفضل من الإفلاس



محمد عبدالهادي صحافي مصري

طل رجال الأعمال المصريون الظهير الاقتصادي الداعم لقرارات الحكومة، ينتفضون لدعم سياساتها، ويتطوعون للإشادة بتحركاتها، ويتدخلون بأموالهم لتخفيف التداعيات السلبية لتوجهاتها على القطاعات الفقيرة، قبل أن تأتي جائحة كورونا لتظهر موقفًا استثنائيا للمستثمرين الكيار يزعامة المهندس حسين صبور، أشهر وأقدم مطور عقاري محلي.

ولكن صبور، عبرات قطاع العقارات في مصر، يرفض سياسة الدولة في تطبيق حظر التجوال، ويهاجم دعوات التبرع للعمالة غير المنتظمة المتضررة من قرارات البقاء في المنازل، ويرفع شعار "وفاة البعض بكورونا أفضل من

وجّه صبور صدمة للشارع المصري بتصريحات رفض فيها تقييد حركة البشس وتجمعاتهم كوسسيلة لمواجهة تنامى أعداد المصابين بكورونا، وانتقد تقليص المصانع لساعات الدوام وتقلبل أعداد العمال المتواجدين علىٰ خطوط الإنتاج، واعتبر أن موت البعض بالفايروس أفضل من الإفلاس

## لايغرد منفرداً

تواكبت أفكار صبور مع رجلي الأعمال نجيب ساويرس، ورؤوف غبور، وهما اللذان يحافظان على مكانتهما ضمن قائمة أغني الأثرياء العسرب ليطالب الثلاثة بعسودة جميع العمال لأعمالهم فورًا، بصرف النظر عن مخاطر الوباء العالمي، ما يراه البعض تجسيدا للتوجه البلوتقراطي، أي حكم الأثرياء، لطائفة من رجال الأعمال بمصر، وانتمائهم ولو دون قصد لأنصار "الرأسـمالية المتوحشة" التى تعتد فقط بتنمية الملكية الفردية والمحافظة عليها باعتبارها الغاية والوسيلة والهدف.

لكن صبور، الذي تجاوز 84 عامًا، كان أكثر تماديًا، حينما قال إنه لا غضاضة في تنامي المصابين بكورونا، ولا أزمـة حتى لو عجزت المستشفيات عن استيعابهم، ولا ضرر في ترك بعض الإصابات دون علاج، رافعًا شعارًا عريضًا "شعب قائم يعمل وناقص شوية أفضل من شعب مفلس تماما لا يجد



أفكار صبور تتناغم مع طروحات رجلى الأعمال نجيب ساويرس ورؤوف غبور، اللذين يحافظان على مكانتهما ضمن قائمة أغنى الأثرياء العرب، ليطالب الثلاثة بعودة جميع العمال إلى أعمالهم فورًا، بصرف النظر عن مخاطر الوباء العالمي

أبدى المليونير رفضه التام والقاطع للتبرع لجهود المجتمع المدنى الرامية لتخفيف الضغط على العمالة غير المنتظمة التي تواجه شبح الجوع بسبب توقف النشباط الاقتصادي، فأمواله لأسرته ولموظفيه فقط وليس مســؤولاً عــن دخــل الشــعب، ليضرب صورة رسمها رجال الأعمال المصريين على مدار عقود بتبنيهم مسحة تكافلية ومشاركة قدر من أرباحهم مع الفقراء.

أعاد رجل الأعمال إلى الأذهان الاتهامات للرأسمالية الاقتصادية بالجور على حقوق العمال والتضحية بأجسادهم البشرية من أجل استمرار دوران عجلة الإنتاج وطنين الآلات، ليصبح الدافع وراء النشاط الإنتاجي تحقيــق الأربــاح لمالكيه، وليــس تلبية الاحتياجات الأساسية للبشر وفي



لمواجهة تنامى أعداد المصابين بكورونا، منتقداً تقليُّصُ المصانع لساعات الدوام.



🏾 صبــور يصدم الشـــارع المصري بتصريحاتــهِ التي يرفض فيها تقييد حركة البشـــ و تجمعاتهم كوســيلة 🕒 آراؤه الإشــكالية لــم تفقده موقعه طوال حياته العملية الممتدة لنصف قــرن، تحت جناح الدولة، كواحد من رجالها الأوفياء الحاضرين في مشروعاتها الضخمة.

مقدمتها سلامتهم الصحية، ما يجعل علاقة العمل كأنها قائمة على الاستغلال. تتبع مواقف صبور ومعتقداته علئ مدار عمره الطويل لا يجعل أراءه مستغربة، وربما يكمن الاستهجان من طبيعة اللغة المستخدمة في خطابه فقط دون المضمون، فالرجل استطاع أن يحافظ عبر لسانه على خط في علاقته مع الدولة يقوم على الدفاع عن مصلحته، والشراكة مع الدولة، ومناكفتها أحيانا لكن دون

الدخول في عداء معها. ظل طوال حياته العملية الممتدة لنصف قرن محافظًا على مكان ثابت تحت جناح الدولة كأحد رجالها الأوفياء، وكان حاضرًا في مشروعاتها الضخمة كمترو الأنفاق وبناء المدن الجديدة. ولا يزال محافظًا علىٰ ذلك الدور عبر شركته "الأهلى للتنمية العقارية" ومكتب للاستشارات الهندسية، بالمشاركة في مشيروعات الحكومية الحالية في العاصمة الإدارية، وتولى أعمال التصميمات والإشراف على تنفيذ عشرة مشروعات سكنية تابعة لمجموعة من المطورين العقاريين بالقطاع الخاص

## بداخل الأحياء السكنية. مشروعات عملاقة

استطاعت شيركات صبور إنشياء وتطوير 57 مشروعًا عملاقًا في القطاعات السكنية والتجزئة العقارية والمساحات المكتبية والسياحية والاجتماعية و الأندية الرياضية بمساحة إحمالية، تصل إلىٰ 12 مليون متر مربع، وحافظ الأنفاس داخل صدره بأن "رأس المال لا يعرف العواطف".

يقترن دفاع صبور وغيره من رجال الأعمال عن الحكومة بشرط مسبق يتعلق بعدم تبنيها سياسات تمسس أرباحهم، ولا يستعف من إشهار أنيابه في الهواء حال شعور بالقلق إزاء مكاسبه، فعلى مدار الشهور الماضية وجه هجومًا مستترًا لدخول الحكومة سوق البناء وتشبييدها وحدات سكنية لذوي الدخل المرتفع، وطالب بأن يكون دورها منظما للسوق وليس منافسًا لأطرافه.

ولا تمثل الحساسية التي يعاني منها صبور إزاء مطالبته بالتبرع أمرًاً حِديدًا عليه، فلم يخش من رفع ورقة الرفض في وجه الرئيس الأسبق حسني مبارك، حينما سائله عن سبب إحجام رجال الأعمال عن التبرع للمشروعات القومية، مثلما يحدث في الولايات المتحدة، كان رده أن الثروات في الغرب تشكلت بسبب انتهاجها الرأسمالية لعقود، بينما لا تمتلك الرأسمالية المصرية الحديثة النشئاة ثروات كافية.

يقدم نفسه دائمًا كرجل عصامي كافح من أجل الوصول، وأسبس شركته في عمر 35 عامًا فقط، لكنها نصف الكوب الفَّارغ فحسب، فالشاب الذي تخرج في كلية الهندسة وجد دعما مستمرا من أسرة تضم والده فايق صبور رئيس مصلحة المساحة الحكومية، وعائلة متمتعة بالمناصب حتى أنه أسس مكتبًا استشاريًا بشراكة اثنين من أبناء الأثرياء في سن مبكرة. ووجد في الرأسمالية الصرفة

غايته في تحقيق طموحاته في

اعتلاء عرش المطورين العقاريين بمصر، فعمره الطويل أهله لمعاصرة النظام الملكي في شبابه، ومعايشة جميع حكام مصر في عهد الجمهورية ونتقلاتها السياسية بين الاشتراكية والرأسمالية أو الجمع بينهما، وفي رأيه فإن الرئيس الراحل أنور السادات كان أفضل من جلس علىٰ عرش مصر.

لا يزال رجـل الأعمال أسـيرًا لفترة السبعينات حتىٰ في الدفاع عن أرائه حول ممارسة الحياة الطبيعية في عهد كورونا دون محاذير أو إجراءات احترازية، فالأمر عنده يشبه قرار حرب أكتوبس 1973 السذي اتخسده السسادات دون تفكير في إمكانية وفاة الكثير من الجنود أو دراسة قدرة المستشفيات حينها على إنقاذ الجرحيى، ليصبح الأمر شبيهًا بالعمل أولاً وليمت من يمت، ومعروف أن أول المشروعات التي دشنها في حياته المهنية كان بناء مدافن في القاهرة مقابل 375 دولارًا أميركيًا لكل مدفن.

ارتبط بعلاقة قوية بنظام السادات أهلته لرئاسة المحلس المصري الأميركي، المشسرف علىٰ إنفاق المعونة العسكرية الأميركية لمصر طوال حقبتي السبعينات والثمانينات، وعمل على التأثير علئ السياسات الاقتصادية للقاهرة وإدخال تعديلات هيكلية على مضمون التشريعات والنظم القائمة بها وربطها بمتطلبات تحقيق النجاح

لسياسة الانفتاح الاقتصادي. كان المجلس اللبنة الأولى التى استتبعها إنشاء حزمة وتعزيز وجودهم الاقتصادى، فتأسست جمعية رجال الأعمال المصريين عام 1977 والتي يرأسها صبور حتى الآن بصورة شرفية، وجمعيات مشابهة في المدن الصناعية الجديدة والمحافظات، بجانب الغرفة التجارية الأميركية، والتي هدفت جميعها إلى تهيئة المناخ لمساعدة رجال الأعمال على ممارسة دورهم في البناء الاقتصادي، ووضع تصورات أمام المسؤولين

المصريين في نفوذهــم ووضعيتهم في المجتمع إلىٰ الفترة التي تلت حرب 1973 وشهدت بدء العمل بقآنون الاستثمار والتى كونوا خلالها لأنفسهم طائفة صغيرة، سرعان ما عوضت نقصها العددي بالانغماس في جميع جوانب الحياة الاقتصادية والجمع بين الاقتصاد والسياسة وتوجيه كفة المشروعات الحكومية تجاه منفعتهم الخاصة. ويحمل صبور عداءً لنظام الرئيس الراحل جمال عبدالناصر ومبادئه، ينبع من تأثيرها على حلمه الكبير في بداية حباته المهنية، فشسريكه وصديق عمره هاجر إلىٰ كندا بعد قوانين التأميم مطلع الستينات خوفًا من مصادرة الدولة لمكتسبات القطاع الخاص، ومع دخول الشاب حينها عالم العقار صدرت قوانين تحديد إيجارات المساكن التي أوقفت القطاع الخاص عـن البناء، وحينما غيّر وجهته إلى إنشاء الورش الصناعية لصالح الحكومة جاءت نكسة 1967

مقاربتهم الإيجابية في تنفيذ السياســة

الاقتصادية. يدين بعض الأثرياء

لتوقف النشاط الصناعي. كانت القوانين الاشتراكية وراء قرار صبور ترك مصر والتوجه إلى ليبيا التي يدين لها ببناء ثروته، فخلال عمله داخلها استفاد من انفتاحها على أوروبا والمنافسة الشرسة بين أكبس المكاتب العالمية على مشروعات البنية الأساسية، واكتسب خبرات في كيفية تقديم العروض والمنافسية عليي الجودة وليس السيعر فارتفع مستواه بعد عودته مع تولى

تماما مع التصور الشائع للاقتصاد الرأسمالي الذي يحمّل الطبقات الفقيرة الأزمات الاقتصادية وارتفاع البؤس والبطالة، باعتبارهم الأكثر إنجابا والسبب في زيادة معدلات النمو السكاني، وهم الذين يستنزفون الجهود التنموية للحكومات الرأسمالية ويضيعون مجهودات كبار رجال الأعمال في زيادة التصديــر والناتج المحلى. وحينما قررت الحكومة تعويم الجنية المصري قبل ثلاثة أعوام ما سبب موجة ارتفاع أسعار أضرت بالقطاعات الفقيرة وأدت إلى تذمرها، كان رد إمبراطور العقارات حينها الطلب من المواطنين التأني والصمت بدل إبداء اعتراضهم ولو على مواقع التواصل اعي، بل وحه الاقتصاد المحلي إلى "التسول" من الخارج، أي ارتفاع معدل الاقتراض من الخارج والديون لمستويات قياسية.

العمال بعد ثــورة 25 يناير 2011 ووصفها

بمطالب فئوية، وفي كل أزمة اقتصادية

يصف المصريين بالكسل والاتكالية

والتهرب من العمل. ودائما ما يكون

الطرف الأضعف هو المتهم من وجهة

نظر رحل الأعمال الكبيس، فحينما انهار

كوبري حكومي بجنوب مصر بعد افتتاحه

مباشرة حمّل العمال المسؤولية واتهمهم

بالتقصير لتأتى النيابة وتنصفهم وتنقل

الإدانــة إلــى المهندســين، وفــى قضايا

الرشوة الكبرى كان موقفه موجهًا ضد

صغار الموظفين ويبرئ الكبار من تلويث

أيديهم بالمال الحرام، قائلاً إنه على مدار

نصف قرن مِن التعامل مع الحكومة لم

تبدو تصريحات صبور متماشية

يجد مسؤولاً واحد مرتشيًا.

ضد إسكان الفقراء

قال في تصريحات تلفزيونية أخيرًا، إنه يرفض الدخول كغيره من المطورين في بناء وحدات سكنية للفقراء أو محدودي الدخل أو الفئات التي لا تستطيع الدفع، ومجهوده يقتصر على بناء مشروعات لمن يملك المال، قائلا "لن أخدم المجتمع ببناء وحدات للفقراء فتضيع أموالي هباء".

رغم علاقمة صبور بالحكومات المصرية المتتابعة إلى درجة مشاركة البنك الأهلى المصري، أكبر البنوك الحكومية في شركة مشتركة معه "الأهلى للتنمية العقارية" التي تأسست خلال التسعينات بنسبة مساهمة تمنحه الإدارة تقدر بستين في المئة، إلا أنه فضّل عدم الانضمام إلى الحزب الحاكم "الحزب الوطنى" في حينها، رغم تلقيه عروضا متكررة، مبررًا ذلك أن انشاغال الحاكم بالتجارة بفسد الحاكم والتجارة،

والأمر ذاته ينطبق علئ التجار يـرى صبور الـذي ترعـرع في حي مصر الجديدة الراقي في كنف أسرة تنتمى إلى الطبقة فوق المتوسطة أن الحكومة الحالية تتعامل مع المواطنين برفق ولين غير مطلوبين، فيما هو لا يريد من الشارع أن يشتكي أو يتذمر من ارتفاع الأسعار أو انخفاض الأجور، فذهنه دائما مشغول بسلسلة من قوائم الجداول، وأكثرها بريقا لعينيه المستترتين وراء نظارته الضخمة "صافى الأرباح".



دفاع صبور عن الحكومة

يقترن بشرط مسبق يتعلق

بعدم تبنيها سياسات تمس

أنيابه في الهواء حال شعوره

حين وجّه، على مدار الشهور

الماضية، هجومًا مستترًا ضد

دخول الحكومة سوق البناء

بالقلق إزاء مكاسبه، كما

أرباحه، وهو لا يتردد في إشهار